ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١١٦) - اعرف امامك (ج١٥)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(9)
الصحيفة (٣) - قيّمة الدين (ق٤)
-حديث الكساء
-فاطمة عليها السلام موصوفة بالإمام في الزيارة الجامعة الكبيرة
-مرج البحرين يلتقيان ، عليّ وفاطمة بحران من العلم عميقان
الاربعاء : ١٥/شهررمضان/١٤٤٢هـ - الموافق ٢٨/٤/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

حديثُ الكساء اليماني:
الكتاب الَّذي بين يدي هو (مفاتيح الجنان) ، وقد فتحتهُ على حديثِ الكساء، ومثلما بيّنتُ لكم فإنَّ المؤلِّف، أتحدَّثُ عن عبّاس القُمي إنَّهُ مُؤلِّفُ مفاتيح الجنان، لم يكن قد أثبت هذا الحديث في كتابه، وإنَّما أُلحق بعد ذلك، ومصدرهُ (عوالمُ العلوم) لشيخنا عبد الله البحراني رحمةُ الله عليه، حديثُ الكساء اليماني حديثٌ فَاطميٌ، فَاطمةُ هي الَّتي حدَّثت جابر بن عبد الله الأنصاري بهذا الحديث، فنقلَ إلينا الحديث، فهو حديثٌ فَاطميٌ. حديثٌ فَاطميٌ، وبيتٌ فَاطميٌ، وكساءٌ يمانيٌ فَاطميٌ، ووالدٌ فَاطميٌ، ومُهجةٌ فَاطمَة في حَسَنيها مُهجةٌ فَاطميّة، وعليٌ فَاطميٌ، واكتمل المجلسُ بفَاطمَة، فهي الَّتي تَقول مثلما جاءَ في حديث الكساء الشَريف: **(ثُمَّ أَتَيْتُ** - فَاطمَةُ الَّتي تقول: **ثُمَّ أَتَيْتُ نَحْوَ الكِسَاء وَقُلْتُ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاه يَا رَسُول الله، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُم تَحْتَ الكِسَاء؟ قَالَ: وَعَلَيْك السَّلامُ يَا بِنْتِي وَيَا بَضْعَتِي، قَدْ أَذِنْتُ لَك، فَدَخَلْتُ تَحْتَ الكِسَاء، فَلَمَّا اكْتَمَلنَا جَمِيعاً تَحْتَ الكِسَاء** - كان الاكتمالُ بفَاطمَة صَلواتُ الله وسلامهُ عليها، وهي الَّتي تأخَّر مجيئها إلى أن اكتملوا جميعاً، فهي قيمةُ المنزل، هي قيمةُ البيت، جاءَ أبوهَا، ثُمّ جاء حسنٌ، حسينٌ، وجاءَ الأمير، وكانوا جميعاً تحت الكساء، بعد ذلك التحقت فَاطمَة بهم واكتملَ المجلسُ الـمُحمَّديّ العَلَويّ الفَاطميّ - **فَلَمَّا اكْتَمَلْنَا جَمِيعاً تَحْتَ الكِسَاء أَخَذَ أَبِي رَسُول الله بِطَرَفِي الكِسَاء وَأَوْمَأَ بِيَدِه اليُمْنَى إِلَى السَّمَاء وَقَال: اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلاء أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي وَحَامَّتِي** - حامّتي هُم الأقربُ إليَّ - **اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلاء أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي وَحَامَّتِي لَحْمُهُم لَحْمِي وَدَمُهُم دَمِي** - لحمهم لحم مُحمّد، ودمهم دمُ مُحمد، فهل يمكن أن نصف دمهم بالنَّجاسة والرّجاسة يمكنُ ذلك؟! رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وآله وهو يتحدَّثُ عن لحمهم وعن دمهم الَّذي هو لحمهُ ودمهُ، يتحدَّثُ عن آية التطهير في هذه الأجواء، إنَّهُ يطلبُ أن يتجلَّى هذا المعنى لنا، أنَ يتجلَّى معنى التطهير الإلهي لهذه الذوات في كُلِّ اتجاهاتها، في كُلِّ أبعادها، في كُلِّ خصائصها، في كُلِّ شئونها، في كُلِّ أجزائها فيما دقَّ منها وما عظُم، ما كانَ صغيراً أو ما كانَ كبيراً، النَّبي صلَّى اللهُ عليه وآله جمعهم في هذا المجلس كي تُنقل هذه الصورةُ الَّتي هي وسيلةُ إيضاح لنا، إنَّها لقطةٌ من الشأن الـمُحَمَّديّ العَلَويّ، فشأنُ مُحَمَّد وعليٍ لا تستطيعُ الكلماتُ أن تُحيط به، ولا تستطيعُ المدارُكُ العقليةُ أن تتخيلهُ، ولا نستطيعُ مهما أوتينا من قُدرة في مجال التصوّر أو في مجال الخيال، وحتَّى في مجال بصائر الَّتي تتجاوز التصوّر وا لخيال الَّتي تطَّلعُ إلى الغيبِ من وراء غطاء، من وراء ستارٍ شفَّافٍ رقيق، لا نستطيعُ بل لن نستطيعَ أن نكونَ على قُربٍ من الصورة، لا أقول من الصورة الحقيقية، من الصورة القريبة من الصورة الحقيقية.
لَحْمُهُم لَحْمِي وَدَمُهُم دَمِي يُؤْلِمُنِي مَا يُؤْلِمُهُم وَيُحْزِنُنِي مَا يُحْزِنُهُم، أَنَا حَرْبٌ لِمَن حَارَبَهُم وَسِلْمٌ لِمَن سَالَمَهُم وَعَدُوٌّ لِمَن عَادَاهُم وَمُحِبٌّ لِمَن أَحَبَّهم، إِنَّهُم مِنِّي وَأَنَا مِنْهُم، فَاجْعَل صَلَوَاتَكَ وَبَرَكَاتَكَ وَرَحْمَتَكَ وَغُفْرَانَكَ وَرِضْوَانَكَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِم وَأَذْهِب عَنْهُم الرِّجْس وَطَهِّرهُم تَطْهِيراً - الآيةُ نزلت بنفسِ هذا المضمون، فمن الَّذي أنزلها؟ الَّذي أنزلها هو الَّذي قال ما قال من كتابٍ صاعد من بيتِ فَاطمَة، هذا الحديث هو جزء من كتابٍ صاعد فجاءَ جبرائيلُ بكتابٍ نازل، فمن أينَ كانت البدايةُ للنزول القُرآني؟ إنَّها من بَيت فَاطمَة، مَن هنا صَعَدَ الكتاب.
فَاطمَةُ تستمرّ في حديثها فهي لا تنقلُ لنا عن رسول الله، ولا تنقلُ لنا عن أمير المؤمنين، ولا تُحدِّثنا عن جهة أخرى، مثلما نقلت لنا كلام رسول الله هي مُستمرّةٌ في حديثها: **فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا مَلَائِكَتِي وَيَا سُكَّانَ سَمَاوَاتِي** - فَفَاطمَةُ مثلما كانت تسمعُ كَلام أبيها تحت الكساء كانت تسمع كلام الله في الملأ الأعلى، هذا مجلسٌ لهُ خصوصيةٌ خاصَّة، فَاطمَةُ لا يوجدُ فيما بينها وبينَ الله حجاب، هم جميعاً هكذا لكنَّ الحديث حديثٌ فَاطميٌ، وإلَّا هُم نوريةٌ واحدة، هُم حقيقةٌ واحدة، نحنُ والحديثَ ولأنَّ الكلامَ عن قيمومة فَاطمَة الَّتي هي من شؤونات إمامتها صلواتُ الله وسلامهُ عَليها، إمامتها الَّتي تعني العلم المطلق والَّذي يؤدِّي إلى العصمة المطلقة، وتلكَ هي الطهارةُ المطلقةُ الَّتي تحدَّثت آيةُ التطهير عنها، وما هذا المجلس بمجلس يُقاسُ بزمانٍ أو بمكانٍ، هذا مجلسٌ يتسامى على الأزمنة والأمكنة، إنَّهُ مجلسٌ تتهاوى فيه كُلُّ الحُجُب، فَفَاطمَة في اللحظة نفسها الَّتي تنقلُ لنا كلام أبيها مُحمَّد تحت الكساء في الوقت نفسه هي تُحدِّثُنا عن الله سبحانه وتعالى وما قال لملائكته وسُكَّان سماواته.
فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ - فَاطمَةُ مسترسلةٌ في حديثها، لم تقل بأنَّ أباها قد أخبرها، لم تقل بأنَّ جبرائيل قد قَال ما قال، أبوها صعدَ منهُ ما صعد، وبسببِ ما صعد من أبيها نزل ما نزل، وما بين هذا وذاك فإنَّ الله يُخاطبُ ملائكتهُ وسُكَّان سماواته، وفَاطمَةُ حاضرةٌ في ذلك المجلس، هذا هو الجانبُ المخفي عنَّا من مُحَمَّد وآلُ مُحَمَّد، نحنُ نرى جانباً ظاهراً من مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، الجانبُ المخفي عنَّا هذه لقطةٌ، هذه وسيلةُ إيضاحٍ وضعها مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله بين أيدينا، هو الَّذي أنشأ هذا المجلس، وهو الَّذي أسَّس لهذه الواقعة صلَّى اللهُ عليه وآله في بيت فَاطمَة، فَمُحَمَّدٌ الفَاطميّ هو الَّذي أعطانا هذه الصورة الفَاطميّة - **فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا مَلَائِكَتِي وَيَا سُكَّانَ سَمَاوَاتِي** - هل تستغربون من ذلك؟! بحسبِ منطقِ سقيفة بني ساعدة ومنطق سقيفةِ بني نجف هذه المضامينُ مستغربة!

هذا هو (نهجُ البلاغة الشريف) ، سأذهبُ بكم إلى الخطبة القاصعة، من أشهرِ خُطب أمير المؤمنين، خطبةٌ طويلةٌ مُفصَّلة / صفحة ٢٠٧ / الخطبةُ القاصعة، مرقَّمة (١٩٢)، خطبةٌ طويلة، كنت أتمنَّى أن يكون عندي وقت كي أقرأ عليكم ما قالهُ أمير المؤمنين عن علاقته برسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله، أمير المؤمنين كانَ شريكاً لرسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله في كُلِّ شيء، إلَّا في هذا العنوان، في عنوان (النُبوّة)، وتلكَ مسألةٌ تنظيميةٌ، لابُدَّ منَ نبيٍ، لابُدَّ من وصيٍ، لابُدَّ من ناطقٍ، ولابُدَّ من صامت، فالنَّبيّ في زمانِ نُبوّته ناطقٌ، ووصيّهُ في زمانِ نُبوّته صامتٌ، فإذا مضى ذاكَ النَّبي نَطَقَ الوصي من بعد ه، والوصيُّ الَّذي يلي هذا الوصي سيكونُ صامتاً، فهناك إمامٌ ناطقٌ وهناك إمامٌ صامت، مُحَمَّدٌ إمامٌ ناطق وعليّ إمامٌ صامت زمان مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله، تلكَ حكمةُ التنظيمِ والتدبيرِ وحُسن الإدارة، فعليّ كانَ شريكاً لـمُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله، وفي الحلقات المتقدِّمة قرأتُ عليكمَ الرواية من (تفسير البرهان) ، الَّتي نقلها هاشم البحراني عن مجالس الصدوق عن سيِّد الشُهداء عن رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله وهوَ يقولُ لأمير المؤمنين: (**من أنَّ الله مَا أكرمَني بِكَرامة إلَّا وَأكرَمَك بِمثلها**) ، المجلس أين؟ المجلس في غارِ حراء، بدايةُ البعثة الـمُحَمّديّة وما جرى من التفاصيل هناك، لم يكن مع النَّبي إلَّا الأمير صلواتُ الله وسلامهُ عليه، ولذا فإنَّهُ كانَ مُطلعاً على تفاصيل البعثة مثلما كانَ مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله مطلعاً على تلكَ التفاصيل، أمير المؤمنين يقول من أنَّ رسول الله قال لهُ: (**إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَع وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّك لَسْتَ بِنَبِي**).

نَبِي؛ إمامٌ ناطقٌ زمان النُبوّة.

وصي؛ إمامٌ صامتٌ زمان النُبوّة.

وهذا الأمر بنفسه ثابتٌ لفَاطمَة، وما حديثُ الكس اء وما نحنُ بصدده إلَّا مصداقٌ للَّذي تحدَّث عنه رسولُ الله معَ أمير المؤمنين، وهذا ثابتٌ لهم جميعاً، نحنُ نتحدَّثُ في أجواءِ حديث الكساء.

فَفَاطمَةُ تسمعُ وترى ما يرتبطُ بعالم الشهادة وما يرتبطُ بعالم الغيب، الكتابُ الَّذي صَعَدَ من مُحَمَّد كانَ قد صعد من عالم الشهادة، والَّذي نزل من السماء وما كان من خطابِ الله لملائكته وسُكَّان سماواته كُلُّ ذلك بمسمعٍ ومرأى من الصدِّيقة الكبرى، فحينما نُدقِّق النظر في هذا الحديث نجدُ هذا الأمر واضحاً وجلياً، فبعد أنَ نقلت لَنا حديث رسول الله حديثهُ معَ الله، إذَّهُ يتكلَّمُ معَ الله وليس هناك من حجابٍ فيما بينهُ وبين الله، فَاطمَةُ تسمعُ ذلك وليس هناك من حجابٍ فيما بينها وبين الله - **فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا مَلَائكَتي وَيَا سُكَّانَ سَمَاوَاتِي، إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّة وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّة وَلَا قَمَراً مُنِيْراً وَلَا شَمْساً مُضِيْئَة وَلَا فَلَكاً يَدُور** - إنَّها الأجرامُ السماويةُ والمجراتُ الهائلة - **وَلَا فَلَكاً يَدُور وَلَا بَحْراً يَجْري وَلَا فُلْكاً يَسْرِي** - إنَّها السفائنُ والبواخر والزوارقُ - **وَلَا بَحْراً يَجْرِي وَلَا فُلْكاً يَسْرِي إِلَّا فِي مَحَبَّة هَؤُلاء الخَمْسَة الَّذِيْنَ هُم تَحْتَ الكسَاء** - هذا مجلس إلهي محمدي علَويّ، لكنَّ عنوانهُ الأول؛ (إنَّهُ مجلسٌ فَاطمي) ، ما أنا الَّذي أقول، الله هوَ الَّذي يقول - **فَقَالَ الأَمِيْنُ جِبْرائِيْل: يَا رَبّ، وَمَن تحتَ الكسَاء؟ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: هُمْ أَهْلُ بَيْت النُبُوَّة وَمَعْدنُ الرِّسَالَة، هُم فَاطمَة وَأَبُوهَا وَبَعْلُهَا وَبَنُوهَا** - فما قال الله هم مُحمّد ووصيهُ وابنتهُ وسبطاه قَالَ: (هُمْ فَاطمَة)، لأنَّ المجلس فَاطمي، لأنَّ الواقعةَ فَاطميةٌ، وهذه الواقعةُ واقعةُ تأسيس إمامتهم، حين أتحدَّثُ عن تأسيس إمامتهم لا أتحدَّثُ عن أنَّهم قبلَ هذا المجلس لم يكونوا أئمَّة، وإنَّما أتحدَّثُ عن التأسيس الاعتباري.

فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: هُمْ أَهْلُ بَيْت النُبُوَّة وَمَعْدنُ الرِّسَالَة هُم فَاطمَة وَأَبُوهَا وَبَعْلُهَا وَبَنُوهَا - المجلسُ فَاطميّ لتأسيس الإمامة، فهل يُعقل أنَّ فَاطمَة الَّتي بها اكتمل المجلسُ وأنَّ فَاطمَة الَّتي تُحدِّثنا من دونِ حجابٍ عن كُلِّ الَّذي جرى ما بين عالم الشهادة وعالم الغيب وأنَّ فَاطمَة الَّتي سُبحانهُ وتعالى نسب الحادثة بكُلِّها إليها، فقال: (**هُم فَاطمَة وَأَبُوهَا**) ، أبوها نُسب إليها أضيف إليها، كيف نُعرِب أبوها؟

الواو؛ حرفُ عطف.

أبوها؛ عُطفت على فَاطمَة.

وأبو؛ مضاف.

والهاء؛ مضاف إليه.

فأبو؛ أضيف إلى الضمير الهاء.

والضمير الهاء؛ ضميرٌ مؤنَّثٌ يعودُ على فَاطمَة.

وتستمرُ الصدِّيقةُ الكبرى تُحدِّثنا عن الَّذي كان يجري في الملأ الأعلى لم يكن مجلسها الفَاطميّ وكساؤها اليمانيّ الفَاطمي وما جرى في بيتها الفَاطميّ لم يكن بمعزلٍ عن الملأ الأعلى، الحُجُب لا وجود لها، كان التواصلُ من دونِ انقطاع.

هناك روايةٌ جميلةٌ جِدَّاً:

في الجزء الثامن من (البرهان) إنَّهُ جامعُ الأحاديث التفسيرية الَّتي جمعها هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه / صفحة (٣٤٢)، في الروايات الَّتي جاءت في بيانِ مضامينِ سورة القدر، إنَّهُ الحديث الثامن والعشرون نقلهُ عن الشيخ الطوسي، الشيخ الطوسي روى هذه الرواية في (الأمالي) عن إمامنا الباقر: **يُحدِّثنا عبد الله بن عجلان، قَال: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ** - إنَّهُ الباقرُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه - **يَقُول: بَيْتُ عَلِيٍّ وَفَاطمَة** - الحديثُ هنا ليس ع ن بيت فيزيائي، وإذا كانَ من إشارة إلى بيتٍ فيزيائي فإنَّ الحديث لن يكون عن هذا الَّذي يتلمَّسهُ ويتحسَّسهُ النَّاس بحواسهم، هناك ما وراء ذلك. الباقر يقول: **بَيْتُ عَلِيٍّ وَفَاطمَة منْ حُجْرَة رَسُول الله** - وفي بعض النسخ على ما أتذكَّر: (**بَيْتُ عَلِيٍّ وَفَاطمَة حُجْرَةُ رَسُول الله**) وهو الأدق، المطبوعُ هنا: (**بَيْتُ عَلِيٍّ وَفَاطمَة منْ حُجْرَة رَسُولِ الله**)، لكن في نُسخٍ أخرى وهي الأدق حُجرةُ رَسُول الله - **بَيْتُ عَلِيٍّ وَفَاطمَة** - هو هذا البيتُ الفَاطميّ الَّذي جرت فيه واقعةُ الكَساء اليمَاني - **بَيْتُ عَلِيٍّ وَفَاطمَة حُجْرَةُ رَسُولِ الله وَسَقْفُ بَيْتِهِم** - ما هو سقفُ بيتهم؟ - **عَرْشُ رَبِّ العَالَمِين** - الحديثُ

إذاً ليس عن بيت فيزيائي، وإن كانَ الحديثُ عن موقع فيزيائي فإنَّ الكلامَ ليس عن هذا الَّذي نراهُ بأعيننا، هناك وراء الأكمة ما وراءها كما يقولون، والأمثلةُ تقرِّبُ من وجه وتُبعِّدُ من وجوه إذا كان الحديثُ في أجواء الغيب وتحديداً في أجواء مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين.
وَفِي قَعْرِ بُيُوتِهِم فُرْجَةٌ مَكْشُوطَةٌ إِلَى العَرْش - ما هي هذه ما حقيقتها؟ - **معْرَاجُ الوَحي وَالْمَلائكَة** - هناك اتصالٌ وتواصلٌ مستمر ليس هناك من انقطاع، فإنَّ الله يُصلِّي على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد من دون انقطاع، صلاتهُ على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد من دون انقطاع إنَّها صلةٌ فيما بينهُ وبينهم، وصلةٌ فيما بينهم وبينهُ، ومن هنا فإنَّنا لا ندركُ كُنه هذه العبارة (**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد**)، مهما تحدَّثنا عن أسرارها، وعن تفاصيل معانيها فإنَّنا نتحدَّثُ في حاشية الحواشي، لأنَّ هذه العبارة: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد)، تتحدَّثُ عن الصلة الَّتي لا انقطاع لها بين الله وبينهم، وبينهم وبين الله.
وَفِي قَعْرِ بُيُوتِهِم فُرْجَةٌ مَكْشُوطَةٌ إِلَى العَرْش - نافذة - **معْرَاجُ الوَحي وَالْمَلائكَة** - هم ليسوْا بحاجة إليها، الملائكةُ بحاجة إلى هذه الفُرجة، وإلَّا فهم كُلُّ شيء منفرج بين أيديهم، هذه فُرجةٌ للملائكة - **وَفِي قَعْرِ بُيُوتِهِم** - في قَعرِ البيوت، وليس في سَقف البيوت، يعني أنَّ الملائكة ترتبطُ بهم ارتباطاً في مقامات وفي رُتب هي أبعدُ ما تكون عن سقوف بيوتهم..
وَالْمَلائكَةُ تَنَزَّلُ عَلَيهِم بِالوحي صَبَاحاً وَمَسَاء وَكُلَّ سَاعَة وَطَرفَة عَيْن - ليس هناك من انقطاع، هذه التعابيرُ تقريبية - **وَالْمَلائكَةُ لَا يَنْقَطِعُ فَوجُهُم فَوجٌ يَنْزِل وَفَوجٌ يَصْعَد** - ثُمَّ يأتينا إمامنا الباقر بمثال تقريبي - **وَإِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالى كَشَفَ لإِبْرَاهِيْمَ عَنِ السَّمَاوَات حَتَّى أَبْصَرَ العَرْش** - حينما أراهُ ملكوت السماوات، القُرآن يُحدِّثنا عن رؤية إبراهيم للملكوت - **وَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالى كَشَفَ لإِبْرَاهِيمَ عَنِ السَّمَاوَات حَتَّى أَبْصَرَ العَرْشَ وَزَادَ الله فِي قُوَّة نَاظِرِه** - و إبراهيمُ من أشياعهم، فالأمثلةُ تُقرِّبُ من وجه وتبعدُ من وجوه، مثالٌ توضيحيّ ذكر إبراهيم - **وَإِنَّ اللهَ زَادَ فِي قُوَّة نَاظِرِ مُحَمَّد وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَة وَالحَسَنِ وَالحُسَين وَكَانُوْا يُبْصِرُونَ العَرش وَلَا يَجِدُونَ لِبُيُوتِهِم سُقُفَاً غَيْرَ العَرش** - إبراهيمُ في لحظة في مقطع في مقام من المقامات كُشف له ما كُشف من عالم الملكوت، أمَّا مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد ولا وجه للمقايسة، ولكن لأنَّ المثال ذُكر والَّذي ذكرَهُ إمامنا الباقر فلابدَّ أن نهتم بهذا المثال، مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد هم في حالة نظر وبصر وتواصل على طول الخط من دون أن يكون هناك انقطاع في مقام من المقامات (لَا فَرقَ بَينَكَ وَبَينَهَا)، إنَّها الإحاطةُ، ﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ**﴾ ، هذا الأمر مُوجهٌ للجميع ليس للبشر، لكنَّ التخصيص هنا جاء في القُرآن للبشرِ باعتبار أنَّ القُرآنَ كتابٌ لبناء الإنسان، وإلَّا فإنَّ الله يرى أعمال الخلائق جميعاً وكذلك رسولهُ والمؤمنون، المؤمنون: (عليٌ وفَاطمَة وأبناءُ فَاطمَة من المجتبى إلى القائم)، هل تستطيعون أن تُخرجوْا فَاطمَة من هذه الآية: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ ، هل تستطيعون أن تُخرجوْا فَاطمَة من هذه الآية؟ فَاطمَةُ داخلةٌ في هذه الآية وهي أوضحُ آية في إمامتها، هل تملكونَ الجرأة أن تُخرجوْا فَاطمَة من هذه الآية، الرؤيةُ في هذه الآية رؤيةٌ احاطيّةٌ لا يُقيدها زمان و لا يُقيدها مكان، إنَّهم يطلعون علينا فيما مضى وفيما حضر وفيما يأتي، ما هو بظاهرنا وما هو بباطننا، هذه رؤيةٌ احاطيّةٌ، فإنَّ الآية تحدَّثت عن أنَّ الله يرى، وعطفت رسوله والمؤمنين، فجعلت رؤية رسول الله ورؤية المؤمنين الَّذين ذكروْا في هذه الآية وهو عنوانٌ خاصٌ بهم (بعلي وفَاطمَة وأبناء فَاطمَة من المجتبى إلى القائم)
- **وَلَا يَجِدُونَ لِبُيُوتِهِم سُقُفاً أو سَقْفَاً غَيْرَ العَرش، فَبُيُوتُهم مُسَقَّفَةٌ بِعْرشِ الرَّحْمَن وَمَعَارِجُ الْمَلائكَة وَالرّوح فَوجٌ بَعْدَ فَوج** - والروح هو أعظمُ من الملائكة، ولذا جاء مذكوراً في سورة القدر لعلو منزلته جاء مذكوراً بمعزل عن الملائكة - **وَمَعَارِجُ الْمَلائكَة وَالرّوح فَوجٌ بَعْدَ فَوج لَا انْقِطَاعَ لَهُم وَمَا مِنْ بَيْت من بُيُوت الأَئِمَّة منَّا إِلَّا وَفِيْه معْرَاجُ الْمَلائكَة.**
وَمَا من بَيت من بُيُوت الأَئِمَّة منَّا - بيتُ عليٍ وفَاطمَة هو سيّدُ هذه البيوت، وهذه العبارة عبارةٌ: - **وَمَا من بَيتٍ من بُيُوتِ الأَئِمَّة منَّا** - تُشير إلى إمامة فَاطمَة أيضاً، لأنَّ الحديثَ عن بيوتهم جميعاً، وجاء الكلامُ من أنَّها بيوتُ الأئمَّة.
- **وَمَا مِنْ بَيْت مِنْ بُيُوت الأَئِمَّة منَّا إِلَّا وَفِيْه معرَاجُ الْمَلائكَة لقَول الله عَزَّ وَجَلَّ: تَنَزَّلُ الْمَلَائكَةُ وَالرُّوْحُ فِيْهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّنْ كُلِّ أَمْر** - فهذه الآيةُ تتحدَّثُ عن تنزُّل الملائكة والروح على جميع الأئمَّة صلواتُ اللهِ عليهم، إلى آخر الرواية الشريفة.
لا زالت الصدِّيقةُ الكبرى تُحدِّثنا عن هذا المجلس العجيب، في عالم الشهادة مُحَمَّدٌ يتحدَّث، وفي عالم الغيب اللهُ يتحدَّث: **فَقَالَ جَبْرَائِيْلُ: يَا رَبّ، أَتَأذَنُ لِي أَنْ أَهْبِطَ إِلَى الأَرْض لأَكُونَ مَعَهُم سَادِساً، فَقَالَ اللهُ: نَعَم قَدْ أَذِنْتُ لَك، فَهَبَطَ الأَمِينُ جَبْرَائِيْل** - كُلُّ ذلك بمسمع ومرأى من فَاطمَة منهم جميعاً، لكنَّ الحديثَ عن فَاطمَة هنا - **فَقَالَ جَبْرَائِيْلُ: يَا رَبّ، أَتَأذَنُ لِي أَنْ أَهْبِطَ إِلَى الأَرْض لأَكُونَ مَعَهُم سَادِساً** - هذه خصوصيةُ حديث الكساء اليماني الَّذي يُضعِّفهُ مراجعكم في النَّجف، أتعلمون أنَّ حديث الكساء هذا لا يضحكون عليكم فيقولون لكم من أنَّ حديث الكساء صحيح هم يقصدون ما جرى في بيت أُمِّ سلمة، ما جرى في بيت أُمِّ سلمة جرى في بيت غيرها أيضاً الواقعةُ تكرَّرت، لكنَّ تلك الواقعة الَّتي جرت في بيت أُمِّ سلمة لا علاقة لها بهذا الَّذي جرى في بيت فَاطمَة، هذا الَّذي جرى في بيت فَاطمَة هو المجلس الحقيقي الكاملُ التام، وها هي فَاطمَةُ تُحدِّثنا عن هذا المجلس العجيب..
الصدِّيقةُ الطاهرة تُحدِّثنا: **فَقَالَ اللهُ: نَعَم قَدْ أَذِنْتُ لَك، فَهَبَطَ الأَمِينُ جَبْرَائِيْل** - كُلُّ ذلك بمسمع ومرأى من فَاطمَة وهي تُحدِّثنا عن ذلك - **فَهَبَطَ الأَمِينُ جَبْرَائِيْل وَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله، العَلِيُّ الأَعْلَى يُقْرِؤكَ السَّلام وَيَخصُّكَ بِالتَحيَّة وَالإِكْرَام وَيَقُولُ لَكَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاء مَبْنِيَّةً وَلَا أَرْضَاً مَدْحيَّة وَلَا قَمَراً مُنِيراً وَلَا شَمْساً مُضِيئَة وَلَا فَلَكَاً يَدُور وَلَا بَحْراً يَجْرِي وَلَا فُلْكَاً يَسْرِي إِلَّا لأَجْلِكُم وَمَحبَّتِكُم وَقَد أَذِنَ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكُم فَهَل تَأذَنُ لِي يَا رَسُولَ الله** - هل بعد إذن الله من إذن؟ نعم إذنُ رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله لأنَّ اللهَ هو الَّذي يريدُ ذلك، لأنَّ الله تعبَّدَ الكائنات بالعبودية بين يدي مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، هو الَّذي يريدُ ذلك وإلَّا فإنَّ الله قد أذنَ لجبرائيل، ولكنَّ جبرائيل الَّذي سجد لأبينا آدم لأنَّ نوراً من مُحَمَّد قد شعَّ فيه هو عبدٌ ساجدٌ بين يدي مُحَمَّد صلَّى الله عليه وآله وآل مُحَمَّد، هو عبدٌ ساجدٌ خاضعٌ، في تفاصيل حديث المعراج فإنَّ

النَّبي في بعض المواقف طلبَ من جبرائيل أن يتقدَّم فما استطاع أن يتقدَّم وقال: يا رسول الله أتقدَّمُ عليك؟ نحنُ منذُ أن سجدنا لآدم ما تقدَّمنا على أبنائه، نحنُ لَا نتقدَّمُ على أبناء آدم كيف أتقدَّمُ عليك؟! هذه الصورةُ واللقطةُ من لقطات المعراج الـمُحَمَّديّ فإنَّ جبرائيل رفض أن يتقدَّم لأنَّ الملائكة طُراً منذُ أن سجدت لأبينا آدم ما تقدَّمت على أبناء آدم، قطعاً الملائكةُ يتحدَّثون هنا عن أبناء آدم الَّذين هم من أولياء الله، ومن السابقينَ والمقرَّبين، من الأنبياء والأوصياء عبر تاريخ البشرية، ومن الَّذين نالوا المراتب العالية في ولاء مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد لأنَّ السجود كَان لنورٍ شعَّ في أبينا آدم، إنَّهُ نورٌ مُجتزئٌ من نورِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد صلواتُ الله عليهم.

وَقَد أذِنَ لِي أنْ أدْخُلَ مَعَكُم فَهَل تَأذَنُ لِي يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله: وَعَلَيْكَ السَّلَام يَا أمِينَ وَحي الله، إنَّهُ نَعَم قَدْ أذِنْتُ لَك، فَدَخَلَ جَبْرَائِيْلُ مَعَنَا تَحْتَ الكِسَاء - ما من شيء محجوب عن فَاطمَة، عن علي وفَاطمَة، عن حَسَنٍ وحُسين، ولكنَّ الحديثَ فَاطميٌّ هنا، مَا من شيءٍ محجوبٌ عن فَاطمَة، لا الَّذي جرى في الملأ الأعلى ولا حينما نزلَ جبرائيل وكانَ الَّذي كانَ فيما بينهُ وبين مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليهِ وآله - **فَدَخَلَ جَبْرَائِيْلُ مَعَنَا تَحْتَ الكِسَاء، فَقَالَ لأبِي** - جبرائيلُ قال لرسول الله - **إنَّ اللهَ قَد أوْحَى إلَيْكُم** – جميعاً، فهذا الوحيّ لكم جميعاً وليس لـمُحَمَّد فقط، الحديثُ هكذا يقول مَا أنا الَّذي أقول - **فَقَالَ لأبِي: إنَّ اللهَ قَدْ أوْحَى إلَيْكُم يَقُول: إنَّمَا يُرِيْدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُم الرِّجْسَ أهْلَ البَيْت وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيْراً** - المجلسُ فَاطميٌّ، وهذا الوحيّ للجميع، فَفَاطمَةُ ستكونُ عنواناً أولاً في هذا الوحي، مثلما قال اللهُ سبحانهُ وتعالى: (**هُمْ أهْلُ بَيْت النُبُوَّة وَمَعْدنُ الرِّسَالَة هُمْ فَاطَمَةُ وَأبُوهَا وَبَعْلُهَا وَبَنُوهَا**)، القُرآنُ صريحاً في العديد من المواطن يُخبرنا من أنَّ الوحي ينزلُ على قلبِ مُحَمَّد، من أنَّ القُرآنَ يَنزلُ على قلبِ مُحَمَّد، ومحمّدٌ هو الَّذي يقول: (فَاطمَةُ قَلبي)، ماذا أصنعُ لهذه الأحاديث؟!

من كُلِّ البيانات الَّتي تقدَّمت فيما يرتبطُ بآيةِ التطهير وما يرتبطُ بحديثِ الكساء الشريف، من كُلِّ البيانات الَّتي تقدَّمت أريدُ أن أضع بين أيديكم زُبدةً خُلاصةً وجيزةً:

ماذا قرأنا في حديث الكساء الشريف حين سأل جبرائيلُ الباري سبحانه وتعالى يا رب ومن تحت الكساء؟ (**فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: هُمْ أهْلُ بَيْت النُبُوَّة**)، احفظوا هذا العنوان؛ (**هُمْ أهْلُ بَيْت النُبُوَّة وَمَعْدنُ الرِّسَالَة**) من هم؟ واضح (**هُمْ فَاطِمَةُ وَأبُوهَا وَبَعْلُهَا وَبَنُوهَا**)، فَاطِمَةُ هي المحور، أبوها نُسِبَ إليها، بعلها نُسبَ إليها، بنوها نُسبوا إليها..

في الزيارة الجَامعة الكبيرة لَمَّا النخعي سأل الإمام الهادي: **عَلِّمْني يَا بنَ رَسُول الله قَوْلاً أقُوْلُهُ بَليغَاً كَامِلاً إذَا زُرْتُ وَاحِداً منْكُم** - الإمامُ علَّمهُ أولُ عنوانٌ في الزيارة الجَامعة الكبيرة: (**السَّلَامُ عَلَيْكُم يَا أهْلَ بَيْت النُبُوَّة**)، هكذا تبدأ الزيارةُ الجامعة الكبيرة، گـلولي يا هوَ ابنَ أمه يقدر يطلِّع فَاطمَة من هذا المقطع گـلولي، أنا أتحدَّثُ معكم أنتم الَّذين تعتقدونَ بولاءِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، جيبوْا لي يا هو ابن أمّه ويقدر يطلِّع فَاطمَة من هذا العنوان..؟!!

وَأشْهَدُ أنَّكُم الأئِمَّةُ الرَّاشِدُون الْمَهْدِيُّون الْمَعْصُومُون الْمُكَرَّمُون الـمُقَرَّبُون - إلى آخرِ الزيارة، فهؤلاء الَّذين سلَّمنا عليهم في أوَّل الزيارة (السَّلامُ عَلَيْكُم يَا أهْلَ بَيْت النُبُوَّة) وهذا هو القولُ البليغُ الكامل الَّذي يشتملُ على تمامِ العقيدة، نُخاطبهم في الزيارة نفسها: **وَأشْهَدُ أنَّكُم الأئِمَّةُ الرَّاشِدُون الْمَهْدِيُّون الْمَعْصُومُون** - إلى آخرِ ما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة، هذه الأوصافُ تنطبقُ على فَاطمَة أو أنَّها لا تنطبقُ على فَاطمَة، ماذا تقولون أنتم؟ القضيةُ واضحة، ولكنَّنا ماذا نصنعُ لمرضى القلوب؟! ماذا نصنعُ لمرضى العقول؟! ماذا نصنعُ للَّذين اسودّت قلوبهم وعقولهم بسببِ القذاراتِ النَّاصبيةِ الَّتي كرعوا منها وكرعوا وكرعوا فيها؟!

الآيةُ التاسعةُ بعد العاشرة وما بعدها من الآيات من سورة الرَّحمَن: ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**﴾، مَن الَّذي مرجهُما؟ سبحانه وتعالى، البحرين هنا مفعولٌ به، ومَرجَ فعل، والفاعلُ هو الله ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**﴾ يعني أجراهما، هذا المعنى إذا بحثنا عن جذوره في اللغة فإنَّ العرب تقولُ من أنَّ الراعي مَرَجَ أغنامهُ، ما المراد أنَّ الراعي مَرجَ أغنامهُ؟ أنَّ الراعي أخذ أغنامهُ إلى المروج إلى المراعي، وأطلقها على رسلها على راحتها، أطلقها تأكلُ بحسبِ ما تريد، فلأنَّهُ أعطاها الحريَّة والراحة وأطلقها فكأنَّها صارت جُزءاً من هذه المروج، فيقولون مَرَجَ الراعي أغنامهُ، فحينما تُطلَقُ البحار وتجري في مجراها كما تريد فإنَّ الَّذي أطلقها قد مَرَجَها، ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ** - فإنَّ الله هو الَّذي أجراهما أطلقهما وراحا يتحرّكانِ كما يريدان - **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾.

في كتاب (الخصال) لشيخنا الصدوق/ المتوفى سنة ٣٨١ للهجرة / صفحة ٨٩ / الحديث السادس والتسعون: **بسنده، حدَّثنا يَحيى بن سَعيد القطَّان، قَالَ: سَمِعْتُ أبَا عَبْد الله** - إنَّهُ إمامنا الصّادقُ صلواتُ الله عليه، يحيى بن سعيد القطان يقول: **سَمِعْتُ أبَا عَبْد الله يَقُولُ فِي قَولِه عَزَّ وَجَلَّ: "مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ"، قَالَ: عَلِيٌّ وَفَاطِمَة بَحْرَانِ مِنْ العِلْمِ عَمِيْقَان لَا يَبْغِي أحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِه** - لا يبغي أحدهما على صاحبه يعني لا يزيدُ أحدهما على صاحبه، فعليّ كفء فَاطمَة، وفَاطمَةُ كفء علي، والأحاديثُ واضحةٌ (لَولا عَليّ فإنَّ فَاطمَة لا كُفء لها) عن أيَّة كفاءة يكونُ الحديث هنا؟ إنَّها الإمامة، لأنَّها العنوانُ الأول العنوانُ الأبرز، فَفَاطمَةُ إمامٌ وعليٌ إمامٌ، لكنَّ علياً إمامٌ ناطقٌ وَفَاطمَةُ إمامٌ صامت، فلهُ الإمامَةُ عليها، حينَ نتحدَّثُ عن إمامٍ ناطقٍ وعن إمامٍ صامت لا يعني أنَّ هذا الإمام سيبقى صامتاً للأبد، ناطقيّةُ الإمام وصامتية الإمام محكومةٌ بالظروف الموضوعية، فحيثُ أنَّ الحسنَ كانَ إماماً من الجهةِ التاريخية ومن جهة الظروف الموضوعية قبلَ الحُسين فسيكونُ الحُسينُ إماماً صامتاً ما دامَ الحَسنُ إماماً ناطقاً، أي إماماً فعلياً، فإذا ما استُشهد إمَامنا الحسَنُ ورحلَ عن هذه الدنيا فإنَّ الحُسين سيكونُ إماماً ناطقاً والسجّادُ سيكون إماماً صامتاً، عليٌ نفسهُ كانَ إماماً صامتاً زمن رسول الله، فَاطِمَةُ إمامٌ صامتٌ وعليٌ إمَامٌ ناطقٌ، والإمامُ الناطقُ يكونُ إماماً للإمامِ الصامتِ، تلكَ حكمةُ النظام وتلكَ دقَّة التدبير، هكذا أراد الله، وهكذا أراد مُحَمَّدٌ وعليٌ صلَّى اللهُ عليهما وآلهما.

أعودُ إلى كلامِ إمامنا الصَّادق صلواتُ الله عليه: - **عَلِيٌّ وَفَاطمَة بَحْرَانِ مِن العِلْم عَمِيْقَان لَا يَبْغِي أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِه، "يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ"؛ الحَسَنُ وَالحُسَين** - (**عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ بَحْرَانِ مِن العِلْمِ عَمِيقَان**)

هناك أفاقٌ أخرى وردت في الروايات على سبيلِ المثال: (الخطابُ للأول والثاني)، وهي رمزيةٌ واضحةٌ، لا أريدُ أن أخوض فيها كثيراً.

﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ** - في الرواياتِ عنهم في تفسيرِ قرآنهم: البرزخُ؛ هو رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله - **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ يُستحبّ في أحاديثنا إذا ما قُرئت سورةُ الرحمن أن يقول القارئ بعد كُلِّ آية ﴿**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: (لَا بِشَيءٍ من آلاء رَبِّي أُكَذِّب)، فآلاءَ ربي آياتُ ربي، ﴿**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾: فبأي آيات ربِّكما تُكذِّبان، آلاءُ ربِّي مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمّد وفضلهُما ولُطفهما عَلَيَّ وعليكم، فلذا أقول: (لَا بِشيءٍ من آلاء رَبِّي أُكَذِّب)، فالآلاءُ هي الآياتُ وهي الأسماء.

﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾، في وجهِ من وجوهِ الآية؛ لفظةُ (إلى) هنا هي مُفردةٌ من هذا الجمع (آلاء)، فآلاء ما هو مُفردها؟ مفردها (إلى) فـ ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ ، يعني آية ربِّها ناظرة، فإلى هي مفردٌ من آلاء في وجهٍ من الوجوه، لا أريدُ أن أُطيل الكلام في هذهِ التفاصيل، لكنَّ الحديث جرّ الحديث فقلتُ ذلك للمنفعة والفائدة.

﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** - لَا بِشَيءٍ من آلاء رَبِّي أُكَذِّب - **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾، الحَسنُ والحُسين، بحسبِ أحاديثِ تفسيرِ قُرآنهم صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين، فعلِيٌّ وفَاطمَةُ بحرانِ من العلمِ عَميقان وتلكَ هي الكفاءةُ، وتلكَ هي الإمامة، ﴿**وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾، وفَاطِمَةُ هي القَيِّمَةُ على ديننا وعلينا نحنُ إنْ كُنَّا من أَهل دينها.